رابطة العالم الإسلامي
الأمانة العامة
الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

الثقافة الإسلامية
من التحصيل إلى التحصين

إعداد

الدكتور الذّوّادي بن بخّوش قوميدي

الأستاذ في جامعة باتنة - الجزائر

مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة الخامس عشر

الثقافة الإسلامية.. الأصالة والمعاصرة

الذي تنظمه

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة

٤ - ٦ / ذو الحجة / ١٤٣٥ هـ
٢٨ - ٣٠ / سبتمبر / ٢٠١٤ م

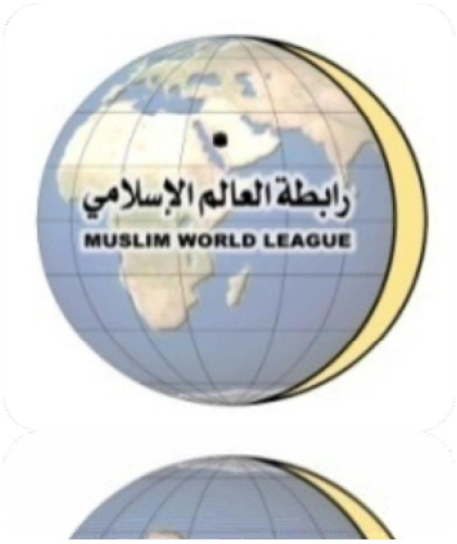

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

صندوق البريد (٥٣٧) أو (٥٣٨) مكة المكرمة (٢١٩٥٥)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩- الفاكس: ٥٦٠١٣١٩-٥٦٠١٢٦٧

برقياً: رابطة - مكة، تلكس: ٥٤٠٠٠٩ و٥٤٠٣٩٠

www.themwl.org

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه والتابعين، أما بعد:

تواجه الثقافة الإسلامية - اليوم- من التحديات ما يتعاظم قدْرُه، ويتفاقم خطَرُه مع تجدّد الأيام وتسارع الانفتاح على الجديد الوافد من الأفكار والثقافات، والمواد الإعلامية المتكاثرة المتواترة التي تنصبُّ على عقول وقلوب أجيال أمّتنا كوابلٍ من السهام، يتعسر تلافيها بل يتعذر؛ إلا بنظرٍ متكامل يتناول الثقافة الإسلاميةً بالدراسة والتحليل، مستصحبًا مكوّناتِ أصالتها، متطلّعًا إلى التجديد المنضبط الواعي المراعي لمقتضيات العصر، الناظرِ بعمقٍ إلى الإشكالات المطروحة، الباحثِ عن أَوفى الحلول وأصدق النتائج، ومن هنا كان الأفاضل العلماء في الرابطة المباركة موفّقين أيّما توفيق، في اختيار عنوان **(الثقافة الإسلامية.. الأصالة والمعاصرة)**، ليكون موضوعا لمؤتمر مكة المكرمة الخامس عشر؛ فجزاهم الله خيراً.

سؤال البحث:

تنفتح على أمتنا الإسلامية -اليوم- ثقافات الغرب والشرق، تَفِدُ علينا دون استئذان، وتفرض وجودها وأثرها على واقعنا المعرفي والسلوكي، الفردي والجماعي، وتُزاحم -كرْهًا- معارفَنا وقِيَمَنا، لاستبدالها بما يناقض ديننا، ويهدم شخصيتنا، ويشوّه فكرنا، لنتساءل في هذا الخِضَمّ عن السبيل إلى ثقافةٍ حصينة تمنع أجيالَ أمتنا من مَصارع الذوبان والانحلال والهزيمة النفسية،

وتمنحهم قوةَ الشخصية ومَضاء العزيمة، لا ليقفوا ثابتين في وجه التيارات الفكرية المعادية فحسب؛ بل ليتمتعوا بروح الإيجابية والفاعلية المؤثرة في الآخر الذي يسعى كبراؤه إلى تصدير ثقافاتهم إلينا، غروراً بالتطور المادي، وتوسُّلاً بالتقنية الحديثة المتسارعة في الوصول إلى إنسان العصر أينما كان، بقصد الهيمنة الثقافية؛ وتغريب المجتمعات المسلمة؛ واختراق ثقافاتها ومصادرتها؛ وفرض الأنماط الغربية.

ذلك الآخر الذي اعترف حكماؤه بفشل كل محاولات العولمة الثقافية، التي أرادت أن تصادم حقيقةَ أن الثقافة لا تُصدّر بالإكراه، والذي تنتظر شعوبُه البائسةُ اليائسةُ مَن يهديها وما يهديها من ضلالها وضياعها.

ويتفرع عن ذلك السؤالِ أسئلةٌ منهجية متعددة، تتعلق بمدى سعْيِنا في تحصين أجيال أُمَّتنا بثقافة أصيلة، لا تقف عند تحصين الذات، بل تسعى إلى التأثير في الآخر بفاعلية وإيجابية، منبعها قيم القرآن وعزة الإيمان وكرامة الإنسان، وذلك ما يتفق وجوهر رسالة الإسلام وأمانة الشهادة على الأمم التي حُمّلتها أُمتنا، وشرف الريادة الحضارية للبشرية التي تحقق بها سلفُنا، يوم كانت الثقافة الإسلامية هي المهيمنة على كل الثقافات شرقيِّها وغربيِّها.

أفترضُ أن هناك منهجاً للتحصيل والتحصين، قائمًا على أصولٍ من الكتاب والسنة، واجتهادِ السلف الصالح ومَن بعدهم، متميزاً بالوسطية والاعتدال والتوازن، يجمع بين تحصيل الثقافة من مصادرها المشروعة، وتحصين الذات من السموم الوافدة ومحاولة التأثير الإيجابي في الغير، وهو منهج يتطلّب تأصيلاً وتفعيلاً قد لا يَفي به بحثُنا المتواضع.

الهدف من البحث:

رغم العناية الكبيرة الواضحة التي توليها بعض الدول العربية الإسلامية للثقافة الإسلامية - وفي ريادتها المملكة العربية السعودية- من خلال تعميم تدريسها كمادة علمية على جميع التخصصات، أو تخصيص قسمٍ مستقل في الجامعات، فإنّ التحديات القائمة في وجه ثقافتنا وأصالتنا وهويتنا، والمتجددة في أساليبها ووسائلها، تفرض على رعاة الأمة ودعاتها وعلمائها وباحثيها؛ مزيداً من تجديد النظر، والبحث المستمر، مواكِبةً لكل ما يستجد من غزوٍ ثقافي، بالتصدي له بالوسائل والأساليب المتجددة، تحقيقاً للكفاية المطلوبة في تحصين الأجيال.

الدراسات السابقة:

وجدتُ دراساتٍ ومؤلفاتٍ كثيرةً لها تعلُّقٌ بمضمون هذا البحث، طالعتُ منها ما تيسَّر، واقتبستُ منها ما شكّل مادةً ثرية للموضوع، غير أن النموذج الأقرب لعنوان البحث ومضمونه: دراسة للدكتور أحمد محمد الخراط بعنوان: مدخل إلى تحصين الأمة[1]، نحَى فيه مؤلِّفُه منحًى فكرياً عامًّا في مدلول التحصين وأهدافه، وعوامل تحصين الفرد والجماعة، أما بحثي هذا فيخص التحصينَ الثقافي، إذ ينطلق من مفهوم الثقافة الإسلامية وإشكال التحصيل والتحصين، ليتناول مفهومَ الثقافة الحصينة وخصائصها، والضرورة الشرعية والواقعية للتحصين وأساليبه.

---

(١) هو العدد ٥٥ من سلسلة دعوة الحق التي تُصدرها رابطة العالم الإسلامي، ضمن جهودها المباركة في خدمة الفكر الإسلامي الأصيل، ومدافعة الغزو الفكري، وردِّ شبهاته وأباطيله عن عقيدة الإسلام وشريعته ودعوته.

خطة البحث:

أولاً: الثقافة الإسلامية وإشكال التحصيل والتحصين.

ثانيـًا: الضرورة الشرعية والواقعية للتحصين الثقافي.

ثالثـًا: خصائص الثقافة الحصينة.

رابعـًا: أساليب التحصين الثقافي.

خاتمة: نتائج وتوصيات.

أولاً: الثقافة الإسلامية وإشكال التحصيل والتحصين.

طبيعي أن نُعرج في البداية على المفاهيم لنبني على المعلوم لا المجهول، فنتناول مفهوم الثقافة الإسلامية، ومفهوم التحصيل والتحصين، ثم نفصل في إشكال التحصيل والتحصين.

١ - مفهوم الثقافة والثقافة الإسلامية:

الباحثون يتجهون في تعريف الثقافة اتجاهاتٍ عدّة، أهمها في نظري أربعة:

الأول: تعريفها من حيث كونُها معارفَ وعلومًا وفنونًا، فعرّفها مجمع اللغة العربية بأنها: «العلوم والمعارف والفنون التي يُطلب الحذق بها»[(١)].

الثاني: تعريفُها من حيث كونُها علمًا مخصوصًا، كما عرّف د. محمد أبو يحيى الثقافة الإسلامية كعلم بأنها «علمُ دراسة التصورات الكلية، والمستجدات والتحديات المتعلقة بالإسلام والمسلمين، بمنهجية شمولية مترابطة»[(٢)].

الثالث: تعريفها من حيث مضمونُها القيمي والعقائدي والخُلقي والاجتماعي، وأثرُها في تصورات الإنسان وسلوكياته، وتلك هي الصورة العملية للثقافة، المقابلة للصورة المعرفية، كما عرّفها الأستاذ مالك بن نبي بقوله: «مجموعة من الصفات الخُلقية، والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعورياً؛ العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي وُلد فيه»[(٣)].

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، جـ١، ص٩٨.

(٢) الثقافة الإسلامية: ثقافة المسلم وتحديات العصر، د. محمد أبو يحيى، وآخرون، ص٢١.

(٣) مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، ص٧٤.

والثقافة في تعريف مالك بن نبي لا تضم في مفهومها الأفكارَ فحسب؛ وإنما تضم أشياءَ أعمَّ من ذلك كثيراً، تخُص أسلوب الحياة في مجتمع معين من ناحية، كما تخص السلوك الاجتماعي الذي يطبع تصرفات الفرد في ذلك المجتمع من ناحية أخرى[١]، ففي هذا التعريف علاقة عضوية متينة بين سلوك الفرد وأسلوب الحياة في المجتمع.

الرابع: من حيث شمولُها للمعارف والقيم المعبّرة عن خصوص كلّ أمة وأسلوبها في الحياة، ومن التعاريف التي تجمع هذه المعاني؛ قول د. حسين مؤنس: «الثقافة هي مجموع المعلومات والمعارف، والقيم الخاصة بشعبٍ مّا، والتي يعيش بمقتضاها، وهي التي تُميِّزه عن غيره من الشعوب، لأنها تعبير صادق عن شخصيته وملامح هذه الشخصية، وطريقته الخاصة في الحياة»[٢]، وهو تعريف عام أمِيل إليه، لأنه يَصدق على الثقافة الإسلامية وغيرها.

لقد غدا مفهوم الثقافة شاملاً لكل المعارف والقيم التي تؤثر في سلوك الفرد والمجتمع، والمُطالع للتعريفات الكثيرة يلحظ انطباع الثقافة بطابع الخصوصية، الذي يتعلق بثقافة الأمم والشعوب، حتى إنه يمكن وصْفُ الثقافة بالروح التي تحيا بسببها الأمة، والبصمة التي تميّز شخصيتها عن غيرها من الأمم.

ومن هذه النماذج التعريفية يمكن استخلاص أركان الماهية المكونة للمفهوم العام للثقافة فنذكر العناصر التالية:

أ - جملة العلوم والمعارف.

---

(١) يُنظر: مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، ص١٣.

(٢) الحضارة ،دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، د. حسين مؤنس، ص٣٤٢.

ب - القيم والمبادئ المميِّزة لكلِّ أمّة.

ج - أسلوب الحياة الملائم لتلك القيم والمبادئ، وهذا يعني أن للثقافة جانبًا عمليًا لابد أن يظهر في طريقة حياة كل أمة من الأمم.

ويَبرز أثر الثقافة في الأفكار والتصورات، والقيم والأخلاق، والعبادات والسلوك، والآداب والفنون، والصناعات المادية، ويتفق المفكرون والباحثون على أن الثقافة تتميز بطابع الخصوصية، حيث لا نجد أمة من الأمم يمكن أن تفرط في خصوصياتها، أو ترضى بانسلاخ أجيالها من ذلك اللباس الخاص، وتنوّعُ الثقافات إلى: ثقافة غربية، وثقافة شرقية، وثقافة صينية، وثقافة هندية، وثقافة عربية إسلامية، وهكذا؛ دالٌّ على طابع الخصوصية.

من هنا فإن محاولات عولمة الثقافة أو عالميتها التي تسعى إليها الأمم المالكة لزمام التطور المادي والتكنولوجي والإعلامي، بقصد تصدير نموذجها الثقافي إلى الأمم الضعيفة؛ تكون ضربًا من الوهم الذي يأباه الواقع.

يؤكد هذه الحقيقة الأستاذ أنور الجندي حين يقرر أن الثقافة مرتبطة أساسًا بأمةٍ مّا، يتمثل فيها ضميرها وروحها، وهي تقوم أساسًا على جذور من روح الأمم وضميرها، ممتزجة بتكوينها الروحي والنفسي والاجتماعي، وتحمل طابع الأمة، ومن هنا لا يمكن أن تكون الثقافة مستوردة»[1].

إن المعارف العلمية العامة قد تكون عالمية مشتركة، لأنها لا جنسية لها، وهي رصيد إنساني مشترك بين البشرية كلّها -كما في تحليل الأستاذ أنور الجندي- أما الثقافات فهي ذاتية وخاصة ومتصلة بأممها لا تنفك عنها، وهي

(١) الثقافة العربية المعاصرة في معارك التغريب والشعوبية، أنور الجندي، ص١٣.

لذلك لا تنصهر ولا تذوب في بوتقة واحدة، بل تتلاقى وتتعارف ويأخذ بعضُها من بعضٍ ما يزيده قوة، ويرفض بعضُها من البعض الآخر ما يُضادّ وجودَه أو يتعارض مع الأصول الأساس لمقومات فكره وكيانه وذاتيته[١].

وعنصر الماهية في مفهوم الثقافة هو ما سيكون منطلقاً لفكرة التحصين، كما سيأتي قريبا إن شاء الله تعالى.

٢ - مفهوم التحصيل والتحصين:

التحصيل في اللغة: التجميع والتثبيت، والحاصل من كل شيء: ما بقي وثبت وذهب ما سواه[٢]، لذا يمكن القول: إن تحصيل الثقافة هو تجميع المعارف والعلوم، وغرس العقائد والقيم، وما يتعلق بذلك، مما يكتسبه الفردُ شيئا فشيئاً من محيطه الذي يَحيى فيه، ومما يسود المجتمع بفعل الروابط التي تربط بعضه ببعض.

وأصل الحَصْن: الحفظ والحِياطة والحرز[٣]، والحِصْن: كل موضع حصين لا يُوصل إلى جوفه، ودِرْعٌ حصينٌ وحصينةٌ: مُحْكَمة[٤]، وحَصَّنْتُ القرية إذا بنيتُ حولَها[٥].

وعلاقة المعاني اللغوية بما نحن فيه واضحة، فتحصين الثقافة: منْعُها وإحكامها حتى لا يخترقها الأعداء الغُزاة والخصوم البُغاة، فينالوا منها مرادَهم من التغريب والتذويب، والعولمة والتطبيع، سعياً إلى الهيمنة الشاملة.

(١) يُنظر: الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي، أنور الجندي، ص١٧.
(٢) يُنظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص٩٨٤.
(٣) يُنظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، جـ٢، ص٦٩.
(٤) يُنظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص١١٩٠.
(٥) يُنظر: لسان العرب، لابن منظور، جـ١٣، ص١١٩.

٣ - إشكال التحصيل والتحصين:

نتساءل الآن: ما علاقة التحصيل بالتحصين؟ وما النسبة بينهما؟ وهل نكتفي بالتحصيل للمعارف والأفكار دون التفعيل لها في واقع الصراع الثقافي والحوار الثقافي أيضاً؟

الواقع أن المعرفة صارت متاحةً بشكل غير مسبوق، لكن ما نلحظه من آثارٍ بادية على أجيالنا ليس أكثر من مؤشرات لما نواجهه وتواجهه ثقافتنا وستواجهه، من هجمات وأخطار تغزو الفردَ كما تغزو المجتمع، على المستوى العقائدي والتصوري، وعلى المستوى السلوكي، الفردي والجماعي؛ يفرض نظراً جديداً يكون في مستوى التحدي.

لابد أن نقرر أن تحصيل العلوم والمعارف وغرس العقيدة والتصور، وتوريث القِيَم والمُثل، وتنشئة الأجيال عليها بالتربية والتعليم هو من التحصين، فالتحصيل تحصين، وهو الخطوة الأولى التي تقوم على نشر الأفكار، وتلقين المعارف، وغرس الهوية، لكن لا بد من بلوغ غاية التحصيل التي نقصد بها التحصين، والتي تعني أمرين:

الأول: حراسة ما حصّلناه في المرحلة الأولى من المعارف والعقائد والمبادئ.

والثاني: تفعيل ما حُصِّل من المعارف والعقائد والمبادئ، ليكون له الأثر في واقع الفرد والمجتمع، عملاً وسلوكًا، واستقلالاً للشخصية، واعتزازاً بالانتماء، وتأثيراً في الآخر، فالتحصيل يكون تحصينًا إذا ارتبط بغاياته وكان له مصداق في الواقع العملي، وبذلك نفرز الخيوط المتداخلة بين المصطلحين.

وبالحراسة والتفعيل نصل بثقافتنا إلى المرحلة المنشودة التي هي العطاء والإشعاع، وهنا يأتي سؤال ثان: ما السبيل إلى التحصين الثقافي المطلوب؟ ذلك ما يهتم له هذا البحث.

ويَلزم التنبيه هنا على أننا حين نتحدث عن التحصين، فإننا لا نتحدث عن الثقافة الإسلامية بثوابتها وأسسها فحسب، وإنما نتحدث أيضاً عن الثقافة المتحركة المتغيرة، التي تستقي من الثوابت الإسلامية، ثم تتفاعل مع الحياة لتنتج أثرها الإيجابي المرتبط بمدى حسن القصد وكمال الاجتهاد، تلك هي الثقافة التي توجِّه الحياة نحو الحركة الفاعلة والبناء الإيجابي، وتدفع عجلة الحياة إلى الإنتاج والإبداع، وتحافظ على شخصية الأمة، وتقف دون محاولات الطمس والاستلاب، بما أودعها الله جل وعلا من قوة ذاتية مستمَدة من صحة العقيدة، وعدالة المبادئ، وشموخ التراث، ونصاعة التاريخ، ذلك إذا ما أحسنّا توظيفها بوعْيٍ وتخطيط وحكمة.

من هنا نفهم معنى **الثقافة الحصينة**، التي هي: «الصورة الحية للأمة الإسلامية، فهي التي تحدد ملامح شخصيتها، وقوام وجودها، وهي التي تضبط سيرها في الحياة، وتحدد اتجاهها فيها، إنها عقيدتها التي تؤمن بها، ومبادئُها التي تَحرص عليها، ونُظمها التي تعمل على التزامها، وتراثها الذي تخشى عليه الضياع والاندثار، وفكرها الذي تودُّ له الذيوع والانتشار»[(١)].

الثقافة الحصينة هي التي تتجاوز حدود المعرفة العقلية البحتة، لتنفذ إلى القلب فتحرك المشاعر، وتفجر الطاقات، وتعمق روح الولاء للأمة الرائدة القائدة، فهي وثيقة الصلة بالعقل والقلب، والفكر والشعور، مرتبطة بالماضي الزاهر،

(١) لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، ص١٣.

والحاضر القلق، والمستقبل المنشود، تُزود العقول بالحقائق الناصعة عن الإسلام، وسط الضباب الكثيف من أباطيل الخصوم، وتُربي فيها ملَكة النقد الصحيح، التي تُقوِّم المبادئ والنظم والمذاهب التقويم السليم، وتميِّز -في نزعات الفكر والسلوك- بين الغث والسمين، فتأخذ النافعَ الخيّر، وتطرح الضار الفاسد[١].

والثقافة التي يَصدق عليها وصف الحصانة الذاتية هي الثقافة الإسلامية، لما تتميز به من مزايا وخصائص ترتفع بها على ثقافات الأمم الأخرى كلّها، إنها ثقافة ذات مصدر رباني خالد يُكسِبها البقاء والصمود والغلبة، والتميز من حيث الأسس والمقومات والأهداف، فهي تستمد كيانها من الإسلام متمثلاً في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بينما تستمد الثقافة الغربية مصادرها من الفكر اليوناني والقانون الروماني وتفسيرات المسيحية التي وصلتها محرفة[٢].

وهي الثقافة الإنسانية التي توافق الفطرة ولا تصادمها، وهي الثقافة العالمية التي تقوم على العقيدة الصحيحة الواضحة، والشريعة السمحة التي يوافق صحيحُ منقولها صريحَ معقولها، بل هي الثقافة التي تَصلح أن تكون ثقافة العصر وإنسانِ العصر.

وهنا سؤال ثالث: إذا كانت الثقافة الإسلامية بهذه الحصانة الذاتية، فما المقصود بالتحصين؟ ومَن المقصود به؟

لا شك أن المقصود بالتحصين هم أجيال أمتنا، فكيف يكون تحصينهم بالثقافة الحصينة؟ لعل في الصفحات التالية جواب عن هذا الإشكال.

---

(١) يُنظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، ص١٣.

(٢) يُنظر: أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية شرف العمري، ص١٧. ويُنظر: الثقافة العربية المعاصرة في معارك التغريب والشعوبية، أنور الجندي، ص١٣.

ثانياً: الضرورة الشرعية والواقعية للتحصين الثقافي.

عرفنا أن التحصين الثقافي طلب جازم، وحتم لازم، وأنه لا يجزئ التحصيل عن التحصين، فلا يكفي بناء الصروح العاتية ولا الحصون العالية، ما لم يُتوَّج ذلك بالحراسات الشديدة والدفاعات القوية، وكم في التاريخ من حصونٍ سهُل اختراقُها حين غاب حرّاسُها أو ناموا، فالتحصين الثقافي ضرورة، يُلزم بها الشرع، ويحتِّمها الواقع.

١ - الضرورة الشرعية للتحصين الثقافي:

ما كان للمنهج الإسلامي الشامل المتكامل أن يغرس العقائد والمبادئ في نفوس المؤمنين، ثم لا يُحيطها بسياج الحفظ والتأمين، هذا المنهج قرره علماء مقاصد الشريعة الإسلامية حين قالوا: إنّ مصالح الدين والدنيا على جانبين من الحفظ: جانب الوجود، وجانب العدم[١]، وقصدهم من ذلك أن الشريعة الحكيمة لا تكتفي بتحصيل المصالح وإيجادها، بل تتبع ذلك بحفظ استمرارها وامتدادها، فحين مَنَّ الخالقُ على العباد بنعمة العُقول، وشرع لها ما ينميها من طلب العلم والتعقل والتفكر، أحاطها بعد ذلك بما يحفظها من منع المسكرات والمخدرات، وتحريم التضليل بالشبهات والتحريف، وهذا مثال من مقاصد الشريعة يتسق مع موضوعنا، وفي القرآن والسنة وسير السلف الصالح كثير من الأدلة والشواهد التي تفيد ضرورة التحصين الثقافي، منها على سبيل المثال:

---

(١) يُنظر: الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، جـ٢، ص١٨، قال هناك: «والحفظ لها [يعني المصالح] يكون بأمرين: أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود، والثاني: ما يدرأ عنها الاختلالَ الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم».

أ- دعوة القرآن إلى الحذر من مخططات خصوم الأمة الإسلامية، المخالفين لها في العقيدة، المحاربين لها بالأوهام والشبهات، ولو أن المسلمين تمسكوا بدعوة القرآن هذه، ووقفوا على أبواب الحذر، لكفاهم ذلك عن كثير مما وقعوا فيه من فِخاخ التغريب والعولمة والحداثة وغيرها من محاولات الاحتواء، يقول الله جل وعز: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٠٠]، جاء هذا التحذير في سياق التشنيع على أهل الكتاب لكفرهم ومحاولة صدّ المؤمنين عن سبيل الله، ويقول أيضا: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾ [النساء:٤٤].

ب- ما جاء في النهي عن مجالسة أهل الكفر وأهل المعاصي والبدع، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٤٠]. قال المفسرون: في هذه الآية دليل قوي على وجوب تجنب أهل البدع وأهل المعاصي، وأن لا يُجالَسوا(١).

وحكمة النهي عن المجالسة واضحة، ففيها الاحتياط من التأثر بشبهات الكفار وأباطيلهم وأخلاقهم، حتى لا يقع انتشارٌ للعدوى الثقافية، ذلك لأن للأخلاق عَدْوى كما يذكر محمد الطاهر بن عاشور، وقد أُمِر المؤمنون أن لا يحضروا مجالس الكفر والكافرين ليَظهرَ التمايزُ بين المسلمين والمنافقين(٢).

---

(١) يُنظر: المحرر الوجيز، لابن عطية، جـ٢، ص١٤٧-١٤٨.

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، جـ٥، ص٢٣٥.

وقد يتعمّد أهلُ الكفر والضلال الجرأةَ على الإيمان وأهله بالنقد أو السخرية أو الرمي بالباطل، اختباراً للغيرة الإيمانية في نفوس المسلمين، وثورانُ الغيرة الإيمانية مؤشر على وجود الحصانة، وسكونُها أو موتُها لا يعني إلا الهزيمة النفسية والقبول بالهيمنة والاستتباع.

ج- ومِثله في المعنى قولُ الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨].

قال بعض المفسرين: هذا دليل على أن مجالسة أهل الكبائر لا تَحلّ، ومَن خاض في آيات الله تُرِكَتْ مجالستُه وهُجر، مؤمنـًا كان أو كافراً، ولذلك أفتى بعض العلماء بمنع الدخول إلى أرض العدو ودخول كنائسهم والبِيَع ومجالس الكفار وأهل البدع، وألا تُعتقد مودتُهم ولا يُسمع كلامُهم ولا مناظرتهم[(١)].

كل هذا التمايز غرضه تحصين الأجيال مما يُفسد العقيدة أو الشريعة أو الأخلاق، وقد يُستثنى من ذلك: العلماءُ المختصون، الذين يطالعون شبهات الكفار والضالين وخصومِ الإسلام، للرد عليهم ونصرة العقيدة والشريعة.

د - ما ورد من وصايا الأنبياء عليهم السلام، للأجيال التي بعدهم بالاستمساك بالعقيدة والسلوك، كما في وصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام لبنيهما: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢].

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، جـ٧، ص١٣.

ومن ذلك وصية لقمان لابنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣]، ففيها تحصينٌ عقائديٌّ وعباديٌّ وسلوكيٌّ وأخلاقيٌّ.

ويتأكد هذا المنهج القرآني التحصيني بوصية رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعَت على أن ينفعوك بشيءٍ؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ؛ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»[(١)]، ففيها بناء عقائدي متميز، لا يوجد في عقيدة أو ثقافة أخرى.

هـ- وأصحاب الثقافات الأخرى حريصون على نشر عقائدهم الباطلة، ودعوة الناس إلى اعتناقها، كما يقول تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ [البقرة:١٣٥-١٣٨].

ففي هذه الآيات إشارات مهمة مما يتصل بضرورة التحصين:

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، وصححه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم: ٢٥١٦، جـ٤، ص٦٦٧.

الأولى: حرص أصحاب الثقافات الأخرى على تصديرها إلينا، وستبقى محاولاتهم مستمرة.

الثانية: هيمنة الثقافة الإسلامية على غيرها لهيمنة عقيدتها على كلّ العقائد، من خلال الإيمان بكل الرسل والأنبياء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراةَ بالعبْرَانيَّة ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تصدقوا أهلَ الكتاب ولا تُكَذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أُنزل إلينا**»(١).

الثالثة: أن عاقبة الثقافة الإسلامية الانتصار والسيادة، وأن الله تعالى سيكفينا محاولات الغزو الثقافي، كما يكفينا محاولات التشويه العقائدي.

الرابعة: أن صِبغة الله هي صبغة الإسلام الخاصة المتميزة، المتفوقة على كل صبغة من المِلل أو النِّحَل المخالفة، قال قتادة السَّدوسيّ التابعيُّ في قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ﴾ «إنّ اليهود تصبغ أبناءها يهودَ، والنصارى تَصبغ أبناءَها نصارَى، وأن صبغةَ الله الإسلامُ، فلا صبغةَ أحسنُ من الإسلام ولا أطهر»(٢). يقول القرطبي: «فسمَّى الدينَ صبغة استعارةً ومجازاً، من حيث تظهر أعمالُه وسَمْتُه على المتدين، كما يظهر أثر الصبغ في الثوب»(٣). وهكذا فالإسلام يَصبغ الإنسانَ بصِبغة خاصة في عقيدته وفكره ومشاعره وتصوراته وآماله وأهدافه وسلوكه وأعماله، وصِبغة خاصة تظهر عليه

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «**لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء**»، رقم: ٦٩٢٨، جـ٦، ص٢٩٧٩.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، جـ٣، ص١١٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، جـ٢، ص١٤٤.

في كل شيء كما يظهر أثر الصبغ في الثوب[١].

و- ومن النصوص الواردة في التنبيه على التزام مرجعية الثقافة الإسلامية والاكتفاء بها، حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كيف تسألون أهلَ الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أُنزل على رسول الله ﷺ أحدث؟ تقرؤونه مَحضاً لم يُشَبْ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدّلوا كتابَ الله وغيَّروه وكتبوا بأيديهم الكتابَ وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلاً؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ لا واللهِ ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أُنزل عليكم)[٢].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبيَّ ﷺ بكتابٍ أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه على النبي ﷺ فغضب وقال: «**أمُتَهَوِّكون فيها يا ابنَ الخطاب؟!** [يعني أشاكّون ومتحيرون فيها؟] **والذي نفسي بيده لقد جئتُكم بها بيضاءَ نقيَّة، لا تسألوهم عن شيءٍ فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطلٍ فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًا ما وسِعه إلا أن يتَّبعني**»[٣].

وفي سنن الدارمي: «أن النبيَّ ﷺ أُتِي بكتاب في كتِف، فقال: كفَى بقومٍ ضلالاً أن يَرغبوا عما جاءهم به نبيُّهم إلى ما جاء به نبيٌّ غيرُ نبيِّهم أو كتاب غير

(١) يُنظر: معالم الشخصية الإسلامية، د. عمر سليمان الأشقر، ص١٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «**لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء**»، رقم:٦٩٢٩، جـ٦، ص٢٦٧٩.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، رقم: ١٥١٩٥، جـ٣، ص٣٨٧. قال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف. ورواه ابن أبي شيبة في مصنَّفه، رقم: ٢٦٩٤٩، جـ٩، ص٤٩، وحسَّنه الألباني في «ظلال الجنة في تخريج أحاديث السنة لابن أبي عاصم»، رقم: ٥٠، جـ١، ص٢١.

كتابهم)، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت:٥١]»[(١)].

وعلى هذا المنهاج سار سلفُنا الصالح رضي الله عنهم؛ كانوا يُحذرون من مخالطة أهل الأهواء والبدع ومجالستهم، ويوصي أكابرُهم أصاغرَهم، كما في قول الإمام سفيان الثوري: «مَن أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة وهو يعلم، خرج من عصمة الله ووُكِل إلى نفسه»، وقوله أيضاً: «مَن سمع بدعةً فلا يحكها لجلسائه، لا يُلقها في قلوبهم» ، حكاه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء، ثم علق عليه بقوله: «أكثر أئمة السلف على هذا التحذير، يرون أن القلوب ضعيفة، والشُّبَه خَطَّافة»[(٢)].

ز- ومن الأدلّة على ضرورة التحصين وصيةُ رسول الله ﷺ المشهورة بالاستمساك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين ومنهاجهم، في مواجهة الاختلاف الكثير المتوقع، وما يُستحدث من البدع المضلة، إذ قال ﷺ: (وإنَّه مَن يَعْشْ منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين، تمسَّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحدَثات الأمور، فإنَّ كلَّ محدَثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة)[(٣)].

---

(١) سنن الدارمي، باب كراهية الفتوى، رقم: ٤٩٥، جـ١، ص٤٢٥.

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي، جـ٧، ص٢٦١.

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم: ٤٦٠٧، جـ٢، ص٦١٠- وأحمد في مسنده، رقم: ١٧١٨٤، جـ٤، ص١٢٦، وقال المحقق شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح ورجاله ثقات.

٢- الضرورة الواقعية للتحصين الثقافي:

لقد أتى على الأمة الإسلامية حينٌ من الدهر وقعت فيه تحت غزو فكري عنيف، سبق الغزوَ المسلحَ ومهَّد له، ورافقه واستمر بعده، وكان ميدان هذا الغزو: المعارف الإسلامية، من العقائد والشرائع، والأخلاق والنظم، والأدب والتاريخ، وجميع المجالات الفكرية[١].

وفي عصرنا -عصر العلم والحضارة والتقارب والتواصل بين الأمم والشعوب والثقافات- «يجد أبناء أمتنا الكريمة، ألوانًا من الثقافات التي تُعرض عليهم، يحيط كلَّ لون من تلك الثقافات فنٌّ من الدعاوَى والإغراء، ويجد شبابُنا المثقفُ الواعي أن كل ثقافة معروضة إنما تبشر بمذهب في الحياة وأسلوب في الحكم والتشريع والإصلاح الاجتماعي»[٢].

والثقافة الإسلامية هي الحِصن والمعتصَم لأجيالنا، وهي الصورة الحية لأمتنا، «فإذا اهتزت هذه الصورة أو اضطربت ملامحُها، أو طمَسها الركامُ المتكاثفُ فوقها، لم يكن للأمة - بسبب ذلك- شخصية تميزها، أو سمات تنفرد بها، بل تصبح تبعًا لغيرها، حتى تنتهي إلى الاضمحلال وتَؤول إلى الزوال، وتلك هي الكارثة»[٣]!

ومن هنا كانت معركة المسلمين اليومَ معركةَ تأكيد الذات؛ أو المحافظة على الذات وحمايتها، وتلك فريضة من فرائض العقيدة، بعد أن تَبين أن

---

(١) يُنظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، د. عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، ص١٤٠.

(٢) أصدق الاتجاهات الفكرية في الشرق العربي، د. مصطفى السباعي، ص٦.

(٣) يُنظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، ص١٣.

المؤامرة التي تقودها القوى العالمية هي تذويب المسلمين في الكيان الأممي والعالمي، عن طريق خداعهم بعبارات: الانفتاح الثقافي؛ والتطعيم الثقافي؛ وإثراء الفكر[١].

كل أمة تستطيع أن تعالج على المدى القريب أو البعيد آثارَ الكوارث الطبيعية مهما كانت شديدة ثقيلة، ولكنها لا تستطيع بناء ما تصدَّع، وإصلاح ما فسد، وتحريك ما توقف، وبث روح الحركة السوية المتزنة في الحياة الفكرية والاجتماعية، بعد التغيير الناجم عن الحركة القلقة الملتوية المضطربة، فذلك يحتاج إلى جهد كبير، وبذْلٍ سخيّ، وعمل متواصل[٢]، وإنّ التحديات الواقعية التي تقف في مواجهتنا تفرض علينا تحصينَ التحصيل وتحصيلَ التحصين، والوقوفَ على باب الحذر في وجه الأسلحة المتجددة للغزو الثقافي، المسلّط علينا من الأعداء الحاسدين، والخصوم الحاقدين، والمنفتح علينا بالإكراه الواقع، الذي ليس له من دافعٍ إلا المقاومة الحضارية التي هي قدَر أمتنا، وأهم تلك التحديات:

أ- مشروع التغريب:

وهو ذلك التيار الفكري الكبير ذو الأبعاد السياسية والاجتماعية والثقافية والفنية، الذي يرمي إلى صبغ حياة الأمم عامة والمسلمين خاصة؛ بالأسلوب الغربي لإلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة؛ وجعلهم أسرى

(١) يُنظر: الصحوة الإسلامية منطلق الأصالة وإعادة بناء الأمة على طريق الله، أنور الجندي، ص١٩٢.

(٢) يُنظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، ص١٤-١٥.

التبعية الكاملة للحضارة الغربية[١]، لذا فهو التحدي الأكبر لأمتنا، لأنه حركة ذات خطورة كبيرة، لا يقف أثرُها عند فهم نفسيات الشعوب؛ وتيارات فكرها وذَوقها ودينها، بل يتعداه إلى التأثير في هذا الفكر وتحويله وتغيير مفاهيمه للقيم، ثم تغيير هذه القيم أيضًا، وإثارة الشكوك في الحقائق الواضحة، وخلْق شبهات حول دين هذه الأمم ولغتها وفكرها وتاريخها وتراثها، وخلْق جوٍّ فكري ونفسي من العداء والخصومة بين هذه الأمم وبين منابع فكرها وجوهر تراثها، وخلق جيل جديد ينفِر من هذه القيم والمقومات والمفاهيم، ويغالي في إنكارها والزهد فيها، والتنكر لها ورفضها[٢].

ب - العولمة الثقافية:

وهي وسيلة حديثة من وسائل التغريب، بعد وسيلة الاستشراق والتنصير وغيرهما، والمقصود بها: محاولة الأمم المستكبرة؛ تصدير نموذجها الثقافي وما يحمله من أنماط اجتماعية واقتصادية إلى العالم كلّه، بقصد الهيمنة الشاملة، بادعاء أن ثقافاتها عالمية ينبغي أن تعمَّم، كما عُمّمت الآلة والتقنية والعلوم التجريبية وغيرُها.

وخطورة العولمة - الثقافية بالخصوص- لا تكمن في قوتها وقدرتها على الاختراق الحضاري، بقدر ما تكمن في ضعف الآخر، وعدم استعداده لمواجهة هذا الاختراق، وإن أحدّ الأزمات التي تعاني منها الهوية الإسلامية: ضَعف ارتباط المسلمين وتمسكهم واعتزازهم بها[٣].

---

(١) يُنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص١٤٥.

(٢) يُنظر: الثقافة العربية المعاصرة في معارك التغريب والشعوبية، أنور الجندي، ص٥.

(٣) يُنظر: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، د. خليل نوري مسيهر العاني، ص٢٥٤.

ج- الحداثة:

هي الوجه المعاصر للتغريب، وهي محاولة لإقامة نظام معرفي كامل للحياة والكون والإنسان، ينطلق من مفاهيم مادية علمانية تمثل قلق الإنسان الغربي وحيرته وشكه، وقد تسللت الحداثة إلى عالمنا بزعم الرغبة في التجديد والعصرنة والتطور، ونهض أنصار لها من قومنا [(١)]، ولقد ورِث الحداثيون عن المستشرقين نمط تفكيرهم، وافتتنوا بالحضارة الغربية ومنتجاتها المعرفية، ثم ولوا وجهَهم شطر الإسلام وثوابته، وبرزوا «كاتجاهٍ فكري يحاول إخضاع نصوص القرآن والشريعة لأنماط الغرب، وتحويل كلمات اللغة العربية ومصطلحاتها عن أصولها ومصادرها الفكرية التي تحددت لها أصلاً؛ إلى غيرها مما يدخل في باب التأويل»[(٢)].

وتبقى التحديات مستمرة، ويبقى الصراع دائراً، إلا أن ظروف الصراع تتجدد، والأساليب التي تَسلكها الثقافة الإسلامية في مجابهة خصومها ينبغي أن تتجدد أيضاً، فالثقافة الإسلامية مضطرة إلى أن تغير في أسلوبها وفي القضايا التي تعالجها، مواكبةً لتجدد التحديات[(٣)]، وذلك من التحصين المطلوب.

---

(١) يُنظر: الثقافة الإسلامية، محمد أبو يحيى وآخرون، ص١٩١.

(٢) يُنظر: شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، ص١٩٥.

(٣) يُنظر: معالم الثقافة الإسلامية، د. عبد الكريم عثمان، ص٩٠.

ثالثاً: خصائص الثقافة الحصينة.

الثقافة الإسلامية ذاتية التحصين، لأنها مستمدة من الدين الإسلامي ذي الأصول الشرعية الثابتة الخالدة، ومن خصائص هذا الدين تستمدُّ الثقافةُ الإسلامية خصائصَها التي تعلو بها وتهيمن على كلّ الثقافات، كما يعلو الإسلام ويهيمن على كلّ الديانات، والمتتبع لكثير مما كُتب في خصائص الثقافة الإسلامية يستنبط جملةً من عوامل الحصانة الذاتية للثقافة الإسلامية التي تخصها وتميزها، ومنها:

١ - الإيمان والتوحيد:

يميّز الثقافةَ الإسلاميةَ عنصرُ الإيمان بالحق، الذي يعطي للحياة توازنها، ويعطي للإنسان استقراره النفسي، وكذا التوحيد الذي يوحد أجزاء النفس الإنسانية، ويحفظها من تشارك الأهواء وتشاكسها، ويمنحها الطمأنينة والسلام.

إنها عقيدة التوحيد الراقية، عقيدة العلم التي تحترم العقل، وعقيدة الخُلق الإنساني المعتدل الكريم الذي يتجافى عن الإفراط في الرحمة والتفريط في العدالة، وعن الإفراط في الحب والتفريط في الواجب، وهي عقيدة تشريع يهدف إلى اليسر ويتوخَّى مصلحة الفرد والمجموع معـًا، بل مصلحةَ الأمة ضمن الإطار الإنساني العام، ومصلحةَ الإنسانية كلّها من غير مَحْوٍ لفضائل الشعوب وخصائص الأمم وقضاءٍ على كرامتها[١].

---

(١) يُنظر: من روائع حضارتنا، د. مصطفى السباعي، ص٢٠.

٢- العلم والعمل:

تتوجه الثقافة الإسلامية إلى العمل ولا تقف عند المعرفة المجردة، ولقد أوضح رسول الله ﷺ العلاقةَ الوثيقة بين المعرفة والعمل، وضرورة توافر الأمرين معًا، في مَثلٍ حيّ جميل، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَثل ما بعثني اللهُ به من الهُدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقيةٌ قبِلَتِ الماءَ فأنبتَتِ الكلأَ والعُشبَ الكثيرَ، وكانت منها أجادبُ أمسكَتِ الماءَ فنفع اللهُ بها الناسَ فشربوا وسقَوا وزرعوا، وأصابت منها طائفةً أخرى إنما قِيعانٌ لا تُمسك ماءً ولا تُنبت كلأً، فذلك مَثل مَن فَقُه في دين الله ونفعه ما بعثني اللهُ به فعلِم وعلَّم، ومَثل مَن لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هُدى الله الذي أُرسلتُ به**»[(١)].

ويفهم الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله من هذا الحديث الربطَ النبوي بين الأفكار المجردة، وفاعليتها في الواقع الاجتماعي، حين يخلع ﷺ على الأفكار والأشياء قيمتها العقلية، وفاعليتها الاجتماعية[(٢)]، وتلك حقيقة الثقافة الإسلامية التي تربط بين العلم والعمل، ولا تقف عند التحصيل المعرفي دون التفعيل الواقعي الذي هو ركن التحصين.

إن أكثر ما يهتم به قادة الفكر والثقافة المؤمنون بمفاهيم أمتهم، الدائبون لنشرها: نقلُها من حيِّز النظر المجرد إلى الواقع البشري الحي، ووصْلُ حياة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل مَن علِم وعلّم، رقم: ٧٩، جـ١، ص٤٢- ومسلم في كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهُدى والعلم رقم: ٢٢٨٢، جـ٤، ص١٧٨٧.

(٢) مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، ص٤٩.

الناس بها، بحيث تكون مصدرَ فكرِهم وشعورِهم، وطابعَ سلوكِهم، وسمةَ حياتِهم العملية، ومن هنا يخرج مدلول الثقافة عن قصد المعرفة المجردة إلى المعرفة الهادفة، أو عن المعرفة الساكنة التي لا تتجاوز حدودَ العمل الذهني؛ إلى المعرفة المحركة التي تُحدث تفاعلاً موجهـًا واضحَ التأثير مع تطلعات الفرد والجماعة[١].

٣- ثقافة فاعلة لا منفعلة:

تأخذ ثقافتُنا الحصينةُ موقعَ الفاعل المؤثر في الثقافات الأخرى؛ سواء منها الوافد أو الناشئ؛ بل تقف موقف المصحح المستدرك الموجِّه، ذلك ما نلحظه في تعامل الإسلام مع المعطيات الثقافية الوافدة من خصوم الإسلام، من شبهات ومقولات، ومن الإشارات في ذلك:

أ- أخذ النبي ﷺ مقولاتٍ من الثقافة الجاهلية، وأضفى عليها معنى إسلاميـًا، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**انصر أخاك ظالمـًا أو مظلومـًا**»، فقال رجل: يا رسولَ الله، أنصره إذا كان مظلومـًا، أفرأيتَ إذا كان ظالمـًا كيف أنصره؟ قال: «**تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصْره**»[٢]، وذكر ابن حجر أن أول من قال: «**انصر أخاك ظالمـًا أو مظلومـًا**»: جُندبُ بنُ العنبر بنِ عمرو بنِ تميم، وأراد بذلك ظاهرَه وهو ما اعتادوه من حميَّة الجاهلية لا على ما فسَّره النبي ﷺ[٣]، فتأملْ كيف

(١) يُنظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، ص١١-١٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه: إنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه، رقم٦٥٥٢، جـ٦، ص٢٥٥٠.

(٣) فتح الباري، صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، جـ٥، ص٩٨.

أخذ النبي ﷺ ثقافةً جاهلية وقانونـًا ساريـًا، فغيّر مدلولَه وكساه معنىً إسلاميـًا راقيـًا.

ب - واستحسن النبيُّ ﷺ بيتَ شِعرٍ من الجاهلية وصدّقه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**أصدق كلمةٍ قالها الشاعر؛ كلمةُ لبيد: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلٌ..**»[(١)].

ج - ولما حضر عثمانُ بنُ مظعون رضي الله عنه مجلسَ لبيد، فسمعه يُنشد: «ألا كل شيء ما خلا الله باطل، قال عثمانُ: صدقتَ، فلما أنشد تمامَ البيت: وكلُّ نعيمٍ لا مَحالةَ زائلٌ؛ قال: كذبتَ، إن نعيم أهل الجنة لا يزول»[(٢)]. فقبِلَ من الشعر ما وافق عقيدةَ الإسلام، ورفَض ما خالفَها.

٤ - ثقافة اعتزاز بالذات:

ومن خصائص هذه الثقافة: أنها تعتز بذاتيتها وتميزها عن غيرها، بمصادرها الربانية، وغاياتها الإنسانية، ووجهتها العالمية، وصِبغتها الأخلاقية، وأنها وقفت ضد العصبيات الجاهلية، واعتزاز هذه الثقافة بذاتيتها أو أصالتها جعلها ترفض أن تذوب في غيرها فتفقد خصائصها ومكوناتها وتتنازل عن رسالتها العالمية الهادية، لتسير في ركب التغريب أو العولمة أو التطبيع، فوضْعُها الصحيح أن تكون رأساً لا ذيلاً، وسيِّداً لا تابعاً [(٣)].

ومن أكبر المعاني التي حاول النفوذ الأجنبي إسقاطَها من النفس الإنسانية: دور الإسلام كعقيدة وتربية، حيث لم يكن الإسلام يوماً ما راضياً لأهله بالذل

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب أيام الجاهلية، رقم: ٣٦٢٨، جـ٣، ص١٣٩٥.
(٢) المعجم الكبير للطبراني، رقم: ٨٣١٦، جـ٩، ص٣٤.
(٣) يُنظر: الثقافة الإسلامية بين الانفتاح والانغلاق، د. يوسف القرضاوي، ص٣١.

ولا مسانداً للخضوع ولا مُعينًا على العبودية، ولقد ربَّى الإسلامُ معتنقيه على الاعتزاز العميق بكرامتهم[١].

وقد توارثت أجيالُ أمتنا قولَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنا كنا أذلَّ قوم فأعزَّنا اللهُ بالإسلام، فمهما نطلب العزةَ بغير ما أعزنا الله به أذَلَّنا الله»[٢]، وموقفَ رِبعي بن عامر المعتز بدينه الشامخ برسالته؛ حين سأله رستم قائد جيش الفُرس: «ما جاء بكم؟ فقال: اللهُ ابتعثنا لنُخرج مَن شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضِيق الدنيا إلى سَعَتها، ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام»[٣].

وإجمالاً فإن الثقافة الإسلامية تتميز تميزاً لا تضاهيها فيه ثقافةٌ أخرى، من حيث خصائصها المتفردة: من ربانية مصادرها، وإنسانية غاياتها، وعالمية وِجهتها، وتكامل أهدافها، ووسطية منهجها، وصلابة معدنها، واعتزازها بذاتيتها، واستعصائها على الذوبان في غيرها من الثقافات، وثقافةٌ هذا شأنُها؛ لا ينبغي إلا أن تكون مرجعًا للثقافات، ورُوحًا للمدنيات، ومِحوراً للحضارات، وموجهًا للحياة الإنسانية كلّها، إنها الثقافة اللائقة بالحياة الإنسانية المعاصرة، القادرة على إسعاد البشرية، ومَلء الفراغ العقلي والنفسي والروحي الذي تشكو منه شعوبُ العالم غيرُ المسلمة.

---

(١) يُنظر: الصحوة الإسلامية منطلق الأصالة وإعادة بناء الأمة على طريق الله، أنور الجندي، ص٣٩٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين، رقم: ٢٠٩، جـ١، ص٦١، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لاحتجاجهما جميعًا بأيوب بن عائذ الطائي وسائر رواته، ولم يخرِّجاه، وله شاهد من حديث الأعمش، عن قيس بن مسلم.

(٣) البداية والنهاية، لابن كثير، جـ٧، ص٤٦-٤٧.

رابعاً: أساليب التحصين الثقافي.

١ - التحصين العقائدي:

العقائد في الأمم تقف سدوداً بينها وبين الأفكار الوافدة أو المذاهب المقتحِمة، وتعطي أعماقاً للصروح والمجتمعات والأفراد، كما تمنح استقراراً وثباتاً للإنسان، أما إذا تركت الأممُ عقائدَها وتخلَّت عن غذائها الروحي وعمقها الإيماني، فإنها تصبح فريسةً لأعدائها[١]، وقد سبقت نصوص في أدلة التحصين، سبق منها وصية لقمان لابنه، ووصية رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما.

وإن الغرس العقائدي الذي يغرس في النفوس؛ سيُخرج نباتَه، ويؤتي ثمارَه بإذن ربه، ثماراً من رقابة الضمير، ويقظة القلب، وصلابة الدين، ورباطة الجأش، وإباء النفس، وذلك كلّه من التحصين العقائدي المطلوب، كما أثمر التحصين العقائدي في جيل الصحابة رضي الله عنهم ثباتاً على الحق سجله التاريخ باعتزاز، ومثالُه: موقف كعب بن مالك رضي الله عنه، إذ كان أحدَ الثلاثة الذين خُلِّفوا في غزوة تبوك، فهجرهم النبيُّ ﷺ والمسلمون، وضاقت عليهم الأرض، وفي هذه الظروف؛ يصله كتاب من ملك غسان وفيه: (أما بعدُ، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاكَ، ولم يجعلْك اللهُ بدارِ هوانٍ ولا مَضْيَعة، فالحَقْ بِنا نُواسِكَ)[٢]، فثبَتَ ولم يهتزَّ في هذا الإعصار.

---

(١) يُنظر: أضواء حول الثقافة الإسلامية، أحمد السايح، ص١٣٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، رقم: ٤١٥٦، جـ٤، ص١٦٠٣.

وقد حذَّر علماؤنا من فتنة الشبهات وفتنة الشهوات، ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة وقلة العلم، وفتنة الشهوات من اتباع الهوى[١]، وكلاهما مَدخل للغزو الثقافي والفكري، يستغله الخصوم المتربصون بالإسلام وشبابه، لأجل تحريفهم عن الالتزام بالعقيدة الصحيحة والسلوك السليم، ليُنشؤوا جيلاً ضعيف الصلة بمنابع قوَّته ومشارب عِزته، فيسهُل عليه الهوان، ويسير في مخططات الأعداء دون أية مقاومة حضارية، ولا مناعة فكرية.

ومن التحصين العقائدي المطلوب: تعميق الإيمان والعناية بالجانب الروحي، فذلك من أهم خطوات المجابهة الفعلية لمواجهة أي اختراق على مستوى الثقافة والهوية، ولاكتساب المناعة الحضارية والحصانة الذاتية؛ ينبغي العمل على تقوية الجانب الروحي في الشخصية المسلمة، وتوثيقُ الروابط بين الخالق والمخلوق، وتوفيرُ الأجواء الروحية في المجتمع المسلم، فبهذا وقف الجيل الأول من هذه الأمة في وجه كل اختراق فكري، وبهذا يستطيع جيل اليوم أن يقف ويتصدى للعولمة الثقافية[٢]، فالغزو الثقافي الأجنبي لا يمكن أن يمتد إلا في فراغنا العقلي والديني[٣].

ومن ذلك ربْط القلوب بالمثل الأعلى والقدوة الأسمى للمسلمين، وهو النبي محمد ﷺ، حبًّا واقتداءً ونصرة.

---

(١) يُنظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن قيم الجوزية، جـ٢، ص١٦٦.
(٢) يُنظر: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، د. خليل نوري مسيهر العاني، ص٢١٧.
(٣) يُنظر: الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، محمد الغزالي، ص٤٢.

٢- الخروج من الهزيمة النفسية وعُقَد النقص والضعف والتخلف:

لقد أتى على العالم الإسلامي حينٌ من الدهر تنازل فيه عن مكانته في القيادة العلمية والتوجيه والاستقلال الفكري، وأصبح عيالاً على الغرب متطفلاً على مائدته، وفتح المجالَ للمستشرقين ليكونوا المرشدين الموجِّهين في البحث والتحقيق والدراسة والتأليف، فتغلغلت أفكارُهم ودعاياتهم في الأوساط العلمية الحديثة في العالم الإسلامي، وأصاب المسلمين روحٌ انهزاميةٌ بالغةٌ عجزوا معها عن مواجهة الحضارة الغربية وجهًا لوجه؛ ونقد أسسها وقيمها نقداً حُرّاً جريئًا، فيه الابتكار والاستقلال، وقد بلغ بعضهم من ضعف التفكير والإغراق في التقليد منزلةً رأَى فيها أن الحضارة الغربية هي آخر ما وصل إليه العقل البشري [(١)]، وراجت بين المسلمين دعوةٌ إلى حضارة عالمية تهدف إلى إذابة الشخصية الإسلامية وتمييعها، وهو ما يبدو من تسميةِ احتفاظِ العرب بطابعهم، وتمسكِهم بشخصيتهم وبمقومات هذه الشخصية، تسميةِ كلِّ ذلك انعزالاً؛ ووصْفِه بأنّه انطواءٌ على النفس ورجعيةٌ وضِيقُ أُفق [(٢)].

ونشأت لدى المسلمين عُقدةُ تخلُّفٍ ترُدُّ سبب بُعد المسافة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي من حيث التمدن؛ إلى نطاق الأشياء المادية، وتحصر سببَ تخلُّفه في نقصِ ما لديه من مدافع وطائرات ومصارف، بينما يرتكز تطور العالم الجديد على المقاييس الفكرية [(٣)]، وأصبحوا يعتقدون أنهم أضعف من الغربيين قوةً وسلطانًا؛ وأوهى منهم عقيدةً ونظامًا، فلا سبيلَ إلى التحرر من

(١) يُنظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟، أبو الحسن علي الحسني الندوي، ص٢٣٧.
(٢) يُنظر: الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، ص١٢٣.
(٣) ينظر: مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، ص١٥.

نفوذهم، ولا طريقَ إلا أن يَسلكوا طريقهم، ويخضعوا لمقاييس حضارتهم وأخلاقها، ما داموا قد خضعوا لها في مبتكراتها ومخترعاتها، ولا يزال الجو الفكري الآن عند المسلمين مثقلاً بعقدة النقص في كلّ ما يعالجونه من مشكلات اجتماعية، يستحسنون في الغالب كل ما يستحسنه الغربيون، ويستقبحون كل ما يستقبحونه، دون أن يسمحوا لأنفسهم بالجرأة في نقْد ما يستحسنون أو يستقبحون(٤).

كيف يكون الخروج من الهزيمة النفسية وعقد النقص والضعف والتخلف؟

لقد شكَّلت عقدةُ الشعور بالنقص والضعف والتخلف هذه حاجزاً كثيفاً بين المسلمين والرجوع إلى ذاتهم، وأثَّرت تأثيراً سيئاً في سلوكهم الاجتماعي، وسيرهم الحضاري، ولا يأتي الرجل بجلائل الأعمال إلا حين يكون واثقاً مطمئناً في سيره، مستيقناً من هدفه، ولا تَخلد الأمة في التاريخ إلا حين تؤمن برسالتها، وتستوثق من صحة عقيدتها، وتندفع في طريق الحضارة، تملأ نفوسَ أفرادها العزةُ، وتمتلئ أيديهم من القوة، ويتميزون على غيرهم بخُلق عظيم، أو عِلم جليل، أو هِمة عالية، أو رسالةٍ نبيلة يحملونها إلى العالمين(٥).

لابد من الرجوع إلى الهوية الإسلامية وتعزيز الانتماء إليها، وتوظيفها في مواجهة الغزو الثقافي، بترسيخ القناعة بخطورته وجِدِّيته في القضاء على الهوية والثقافة الإسلامية، والعمل على نشر القيم، وترسيخ الاعتزاز بها في النفوس(٦).

---

(٤) يُنظر: مقدمات حضارة الإسلام، د. مصطفى السباعي، ص٢٩-٣٠.

(٥) يُنظر: السابق، ص٢٩.

(٦) يُنظر: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، د. خليل نوري مسيهر العاني، ص١٨٥.

وذلك حين يتلاقى القلب والعقل والفكر والشعور؛ على فهم الإسلام ووعي قضيته، والولاء لأمته والتفاعل مع مبادئه ونظمه، وحين يكون ذلك الفهم والوعي والولاء والتفاعل عميقاً قوياً شاملاً، فلا بد أن تنبثق من ذلك روحٌ جديدة تتسم بالإيمان الصادق، والعمل المنتج، والعزيمة القوية، وبذلك تتجدد ثقة المسلمين بمهمتهم القيادية الكبرى، وتتلاشى عوامل الانهزام الفكري والنفسي، وتزول أعراض ذلك المرض العضال، من الشعور بالنقص، وشيوع الضعف والخَوَر، والإخلاد إلى الراحة، والاستكانة إلى المتاع العاجل، والتعلق بالأهواء والشهوات، والخضوع لسلطة الأقوياء، والانبهار بحضارة الأعداء، وتتَّقد - من جديد- جَذوةُ الكفاح الصامد لنشر الدعوة، ومواجهة التحدي، وقيادة الرَّكْب الحضاري النيّر الذي فتح العقول والقلوب، ورفع لواءَ الكرامة والعدالة والحرية، وبسط راية العلم والمعرفة، والسلام في أرجاء المعمورة[١].

وواجب الثقافة الإسلامية الفاعلة الحصينة هو حماية المسلم المعاصر من الانهيار النفسي والتبعية لحضارة طاغية، دخلت مرحلة الانهيار وتبرأ منها أهلُها، ومع هذا لا يزال كبراؤها يتآمرون علينا لـ «تجريدنا من مصادر القوة في نفوسنا، وتحطيم إيماننا بقدراتنا الذاتية على التطور وقدرة حضارتنا الإسلامية على العطاء، ولا ريب أن العودة إلى الأصالة وتعرُّف ذاتيتنا الإسلامية؛ هو الحصن الحصين الذي يحمينا من الذوبان في أَتون الحضارة العالمية؛ وفي الأممية العلمانية الضالة»[٢].

---

(١) يُنظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، ص٦-٧.

(٢) الصحوة الإسلامية منطلق الأصالة وإعادة بناء الأمة على طريق الله، أنور الجندي، ص٣٩٨.

٣- التحذير من التقليد والتبعية:

المقصود بالتقليد في مصطلح الثقافة الإسلامية: ما سلكه المسلمون وقلَّدوه من غير وعْيٍ ولا تمحيص، من اتباع الأغيار والأخذِ منهم والتشبهِ بهم في الحياة وأنماط السلوك والأخلاق والآداب والفنون، وأشكال النظم والمذاهب والفلسفات، والمقصود: التقليد الأعمى بالأخذ من الحضارة الغربية قُشورِها ونِفاياتها، والتنكر لقِيمنا وأخلاقنا، والجري وراء الشكليات ومظاهر الحياة التافهة، وإهمالِ التقنية والتصنيع والإدارة والتنظيم، والمقصود بالتبعية: المتابعة للغرب في مبادئه وحياته وقيمه، وتقبُّلها بعيداً عن ضوابط العقيدة ومفاهيم الولاء والبراء[(١)].

وفي النهي عن التبعية العمياء وبيان عاقبتها، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٩].

وفي السنة النبوية نصوص جمة تُحذر من اتباع الآخرين؛ خاصة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وتنهى عن التشبه بهم وتأمر بمخالفتهم، منها: حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لتتّبعُنّ سَنَنَ من قبلكم شبراً بشِبر وذراعاً بذراع؛ حتى لو سلكوا جُحرَ ضَبٍّ لسلكتموه**»، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «**فمَن؟**»[(٢)]، وقوله ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو**

(١) يُنظر: الثقافة الإسلامية، محمد أبو يحيى وآخرون، ص٢٠١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: ٣٢٦٩، جـ٣، ص١٢٧٤، وصحيح مسلم، كتاب العلم، باب اتّباع سنن اليهود والنصارى، رقم: ٢٦٦٩، جـ٤، ص٢٠٥٤.

منهم»[١]، وقوله ﷺ: «**خالفوا اليهود**»[٢]، وقوله ﷺ: «**خالِفوا المشركين**»[٣].

وسِرُّ ذلك -كما يقول ابن القيم- «أن المشابهة في الهَدي الظاهر ذريعة إلى الموافقة في القصد والعمل»[٤].

وقد حلل الإمامُ ابن تيمية الآثارَ الناجمةَ عن التشبه بالأمم الأخرى، وما يُحدثه من خلل في شخصية الأمة المسلمة من الشعور بالضعف والانهزامية، والأمراض الاجتماعية، ثم البعد عن شرع الله شيئًا فشيئًا، فبيّن أن متابعتهم تُورث مَحبَّتهم وائتلافَ قلوبنا بقلوبهم، وأن ذلك يدعونا إلى موافقتهم في أمور أخرى[٥].

٤ - بث روح التميز والاستقلالية:

الثقافة الإسلامية تبُث روحَ التميز والاستقلال في الأجيال، لتكون حِصنًا لهم من الذوبان في ثقافة الغير، هذا ما يُربِي الإسلامُ عليه الأجيال، منذ جيل الصحابة رضي الله عنهم، ولنضرب لذلك مثالاً: (حين قَدِم النبيُّ ﷺ المدينةَ فوجد اليهودَ صيامًا يوم عاشوراء، فقال لهم ﷺ: ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى اللهُ فيه موسى وقومَه وغرِق فرعونُ وقومُه؛ فصامه موسى

---

(١) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، رقم: ٤٠٣١، جـ٢، ص٤٤١، وهو صحيح.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعل، رقم: ٦٥٢، جـ١، ص١٧٦.

(٣) صحيح البخاري، كتب اللباس، باب تقليم الأظفار، رقم: ٥٥٣٥، جـ٥، ص٢٢٠٩.

(٤) إعلام الموقعين، جـ٣، ص١٤٠.

(٥) يُنظر: الثقافة الإسلامية، محمد أبو يحيى وآخرون، ص٢٠٥. ويُنظر: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفةَ أصحاب الجحيم، لابن تيمية، جـ١، ص٩٦.

شكراً فنحن نصومه، فقال ﷺ: «**فنحن أحق وأَولى بموسى منكم**»، فصامه ﷺ وأمر بصيامه)[١]، و«حين صام رسول الله ﷺ يومَ عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله، إنه يومٌ تُعظمه اليهود والنصارى، فقال ﷺ: «**فإذا كان العام المقبل إن شاء الله؛ صُمنا اليومَ التاسع**»...»[٢]. ففي هذا المثال تأملات:

الأول: في قوله ﷺ: «**فنحن أحق وأولى بموسى منكم**»، نفهم هيمنةَ الإسلام على غيره من الديانات، واحتواءه على محاسنها، وهذا يعطي للثقافة الإسلامية صفة الهيمنة على الثقافات الأخرى.

والثاني: قول الصحابة رضي الله عنهم: (إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى)، فيه أثر واضح للتربية النبوية على رُوح الاستقلال والتميز، والنفور من التبعية والتقليد.

الثالث: من قوله ﷺ: «**فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع**»، نفهم الحرصَ على التميّز في ما نأخذه من الثقافات الأخرى، بحيث نتجنب فيه شكلَ التقليد والتبعية، ونغيّر فيه ما يتناسق مع شخصيتنا وثقافتنا.

٥- تنمية الثقة بالذات والاعتزاز بها:

الموقف من الذات وإمكاناتها عامل مهم في بلوغ النجاح أو الوقوع في الفشل، وهذا الأمر يسري على الأفراد والأمم والشعوب، فالأمة التي لا تثق بقدراتها ولا تُقدر إمكاناتها الذاتية حق قدرها؛ لا يمكن إلا أن تكون على الدوام ظلاً للآخرين، تابعة لهم، لا تعتقد إلا ما يقولون، ولا تنفذ إلا ما يقررون، وهذا

(١) صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما، كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء، رقم: ١١٣٠، جـ٢، ص٧٩٥.

(٢) صحيح مسلم، عن ابن عباس رضي الله عنهما، كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء، رقم: ١١٣٤، جـ٢، ص٧٩٧.

هو التسول الحضاري بعينه؛ الذي يمثل قمة العجز والفشل والاستسلام أمام التحديات التي تواجهها. فلا يمكن لأمة أن تنهض وهي تشعر بمُرَكَّب نقْصٍ في ذاتها يجعلها تنظر إلى نفسها على أنها عاجزة عن مسايرة الأمم القوية المزدهرة، فضلاً عن التقدم عليها[١].

وحصانتنا الثقافية تعني الثقةَ بذاتنا، والاعتزازَ بهويتنا وأصالتنا، وعزْمَنا على أن نكون فاعلين لا منفعلين، مؤثرين لا متأثرين، متزعمين للمشهد العالمي الحضاري والثقافي، مقدمين للناس ثقافةَ الأمن والإيمان والسلامة والإسلام، ثقافة الحوار لا الصراع، ثقافة الأُخوة الإنسانية لا العداوات الشعوبية، ثقافة الحياة الكريمة لا الظلم والاستغلال والاستئثار.

٦- تنمية الذوق العام والمحافظة عليه:

يرتبط الذوق العام بالثقافة الإسلامية بالتأثير المتبادل، فإذا كانت الثقافة تنتج ذوقًا عامًا، فإنه يكون ثقافةً أيضًا.

والذوق العام: كل ما يتفق مع القيم والمبادئ الإسلامية، وهو مقصد مهم على مستوى السلوك الفردي والسلوك الاجتماعي، وهو حاسة الشعور الجماعية التي تعلم أفراد المجتمع ما يستحسنون وما يستقبحون، انطلاقًا من التحسين والتقبيح الشرعيين، اللّذيْن تثمرهما الثقافة الإسلامية في الأجيال.

ويشير المفكر مالك بن نبي إلى المحافظة على الذوق العام كهدف من أهداف الثقافة الإسلامية حين تذوب العناصر المكونة لها «في كيان المجتمع لتطبع أسلوبَ حياته، وفي كيان الفرد لتطبع سلوكه، مع تفاعل مستمر بين هذا

(١) يُنظر: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، د. خليل نوري مسيهر العاني، ص٢١٤.

الأسلوب وهذا السلوك، في صورة التزام مزدوج بين الفرد والمجتمع، التزاماً لا يسمح معه هذا لذاك بأي نشوز في السلوك، ولا ذاك لهذا بأي انحراف في الأسلوب، إذ يتدخل في الحالة الأولى ما يسمى بالضغط الاجتماعي، وفي الثانية كل مواقف الفرد التي تعبر عن استنكاره، سواء بما نسميه اليوم النقدَ، أو ما يشير إليه الحديث: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)»[١].

وكذلك عنصر الجمال يُعَدّ تركيباً لطائفة جديدة من العناصر الثقافية، فإذا حَدد العنصرُ الأخلاقي شكلَ السلوك؛ حدد العنصرُ الجمالي أسلوبَ الحياة[٢]، وبهذا المفهوم نلمس اتصالَ معنى الثقافة بغاية التحصين -للفرد والمجتمع على السواء- من كل ما يناقض الذوقَ الإسلامي العام، أو يعكر صفْوَ جمالِ الحياة الإسلامية.

---

(١) مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، ص٩٠.

- والحديث في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يَزيد ويَنقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم: ٧٨، جـ١، ص٦٩.

(٢) يُنظر: مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، ص٦٦.

خاتمة: نتائج وتوصيات:

إن الغزو الثقافي اليوم يأخذ أشكالاً وصوراً ومجالاتٍ ووسائل لا يمكن حصرُها، كما لا يمكن مجابهتُه بذات الوسائل لقصورنا عنها، ولكنَّ عملية التحصين المتكاملة، والمؤسسة على الجانب العقائدي والروحي والفكري والنفسي؛ يمكن أن تضعنا على طريق المقاومة الحضارية، والمناعة الفكرية، والحصانة الثقافية.

وما نلحظه اليوم من آثار بادية على شبابنا؛ ليست أكثر من مؤشرات لما نواجهه وتواجهه ثقافتنا وستواجهه، من هجمات وأخطار تغزو الفرد كما تغزو المجتمع، على المستوى العقائدي والتصوري، والسلوكي الفردي والجماعي، ويُفترض أن نواجه الثقافات الوافدة بالنقد الشجاع والحوار البَنَّاء، وغرس القيم الدينية والأخلاقية، لأنه لم يعد ممكناً الانزواء والانكفاء على الذات، دون مقاومة للتأثير المفروض على أجيالنا بفعل الوسائل التكنولوجية المتسارعة التطور، صحيح أن ثقافتنا العربية الإسلامية تمتلك مرتكزات القوة والمنعة، لكن ثمةَ مفاصل للضعف والخلل تشكل ثغرات مؤرّقة، قابلة لاختراق الثقافات الوافدة لتغير معالم ثقافاتنا؛ وتستبدل بقيمنا الغالية قيمها البالية.

إن ما تمتلكه ثقافتنا الإسلامية من ركائز الحصانة الذاتية، لا يعفينا من مواجهة المحاولات الدائبة لاقتناص الغفلات والثغرات مما يشكل تحدياً مزمناً ومؤرّقاً، يتطلب يقظة مستمرة لا تقف عند تحصين الذات بالغرس العقائدي والتصوري والمعرفي فحسب، بل تتعداه إلى محاولات الهجوم الحصين على الثقافات الوافدة من مصدرها، وزعزعتها من جذورها، وكفها من بداياتها، ذلك إذا ما استثمرنا خصائص ثقافتنا الأصيلة، وعناصر قوتها، مستغلين الرصيد الفطري في النفس الإنسانية لدى شعوب العالم الآخر.

النتائج:

١- يتأكد لدى الباحث ضرورة الوعي بالخطر المستمر للغزو الثقافي الوافد من الغرب أو الشرق، بأسلحته وأدواته المتنوعة والمتجددة، وأساليبه المخادعة الماكرة، غزوٍ متواصلٍ لا يكاد يفتر عن سعيه المستمر، مستهدفًا إضعافَ ما في أجيال أمتنا من قوى روحية، وطاقات نفسية، وعزة ذاتية، ساعيًا إلى الهيمنة الثقافية، حتى يستمر في هيمنته الحضارية الشاملة، وبقدر تجدُّد أساليب الغزو الثقافي وأدواته؛ بقدر ما ينبغي أن تتجدد أساليبُ التحصين وأدواتُه، وبقدر التطور التكنولوجي والعلمي الذي لم يعد بريئًا من حمل سموم الحضارة الغربية وتصديرها إلينا؛ بقدر ما ينبغي علينا الحرصُ على استغلال ما يُتاح لنا من عِلمٍ وتقنية وتكنولوجيا وكل الوسائل العصرية، لنشر ثقافتنا وفتح قنوات الاتصال الإعلامي لإيصالها إلى الإنسان المعاصر في الغرب والشرق.

٢- الثقافة الإسلامية هي الثقافة الحصينة، لأنها تتميز تميزاً لا تضاهيها فيه ثقافة أخرى، من حيث خصائصها المتفردة: من ربانية مصادرها، وإنسانية غاياتها، وعالمية وجهتها، وتكامل أهدافها، ووسطية منهجها، وصلابة معدنها، واعتزازها بذاتيتها، واستعصائها على الذوبان في غيرها من الثقافات، وثقافة هذا شأنُها؛ لا ينبغي إلا أن تكون مرجعًا للثقافات، وروحًا للمدنيات، ومحوراً للحضارات، وموجهًا للحياة الإنسانية كلّها، فهي الثقافة اللائقة بالحياة الإنسانية المعاصرة، القادرة على إسعاد البشرية وملء الفراغ العقلي والنفسي والروحي الذي تشكو منه شعوب العالم غير المسلمة.

٣- التحصيل الثقافي مرحلة أولى تتحقق بالغرس العقائدي والتصوري، والبناء العلمي والمعرفي، وبث القيم في الضمائر بالتربية الإيمانية المتوازنة المتكاملة، أما التحصين الثقافي؛ فغايته تفعيلٌ لما حُصِّل من المعارف، وما غُرس من القيم، لتظهر في الشخصية الإيجابية الفاعلة، المؤثرة على سلوك الفرد، وعلى أسلوب الحياة في المجتمع.

٤- وتأتي مسألة التحصين في مرتبة الضرورات الواجبة التي ينبغي أن تضطلع بها الأمة الإسلامية، بقياداتها الرشيدة، وعلمائها العاملين، ومفكريها ودعاتها ومربيها، صيانةً لأجيالنا وثقافتهم، التي هي صيانة لذاتنا ووجودنا.

٥- لا حرج ولا خوف على الثقافة الحصينة أن تتفاعل مع الثقافات، وتستفيد منها - على بصيرةٍ- أخذاً وعطاءً، وربما كان هذا التفاعل مدخلاً للتأثير في الآخر، إذا أيّدنا ما عنده من قيم متوافقة مع قيمنا، وانتمينا معه إلى مشترك من المبادئ الإنسانية العادلة، من غير أن تكون لنا قابلية الذوبان، أو عقلية الانبهار بما يملك ولا نملك.

٦- من أساليب التحصين أن نتفاعل مع مشكلات الشباب بالحوار والمناقشة والمدارسة، لابتكار الحلول المناسبة، لأنه لا يدرك مشكلات الشباب كالشباب أنفسهم، وقد يكون في اقتراحهم أنسب الحلول وأوفاها، ولا نُلقي حلول مشكلات الماضي على مشكلات الحاضر.

٧- ينبغي تصفية الثقافات الوافدة بتمييز ما يؤخذ مما لا يؤخذ، فما تعلق بالعقيدة والمبادئ الخلقية والثوابت لا يؤخذ، وما تعلق بالوسائل والأساليب المحققة للمصالح والمنافع المشروعة مما لا يصطبغ بالعقائد والقيم والثوابت؛ فهذا يؤخذ بعد تصفيته من كل الشوائب.

٨- إن من التحصين الثقافي المطلوب أن نحتاط من الانفتاح المطلق على ثقافة الآخر وفكره، فلا نفتح لأجيالنا كل الأبواب والنوافذ في مرحلة تكوينهم، وقبل رسوخهم ونضجهم، وقد عرفنا كيف احتاط النبي ﷺ مع عمر رضي الله عنه، حين اطلع على بعض صحائف أهل الكتاب.

٩- ينبغي الاعتزاز باللغة العربية، وترقيتها، بما أنها ركن رسالتنا القرآنية، وعنصر هويتنا الثقافية، وخطاب أمتنا الإسلامية، خصوصاً في البلدان التي وقعت تحت الاستعمار الأجنبي، الذي سعى أمسِ في تخريب الأوطان، وما زال اليومَ يسعى في تخريب الأديان والأذهان.

التوصيات:

١- أوصي بتعميم تدريس الثقافة الإسلامية في المستويات الجامعية في جميع الدول الإسلامية، اقتداءً بالجامعات السعودية التي كان لها فضل السبق والمبادرة في هذا، وتلتها بعض البلدان القليلة، والأمل في باقيها إن شاء الله تعالى.

٢- تبنِّي خطاب ثقافي فاعل، ينطلق من الثوابت العقائدية والشرعية والخُلقية، ويتكيف مع المتغيرات من الأحوال والظروف بمرونة وحكمة.

٣- تحديث الخطاب الثقافي، وتصنيفه إلى مستويات، بحسب المخاطَبين؛ من شباب صغار، ومثقفين كبار، وأصحاب تخصصات مختلفة من أدباء وفنانين وفلاسفة وقانونيين وعلميين، كلٍّ ومستواه وحاجاته، ولن تعجز الثقافة الإسلامية أن تروي كل من يَرِد مواردها، وتُشبعَ كلَّ مَن قصد موائدها.

٤- الثقافة الإسلامية هي ثقافة كلّ الناس، ولها من فرص القبول لدى الإنسان سليم الفطرة ما ليس لغيرها أبداً، وما علينا إلا استثمار المتاح من الوسائل الإعلامية، لإطلاق مشروع للفتح الثقافي الإسلامي القادم، في مقابل الغزو الثقافي الغربي المنهزم، لتصدير ثقافة الناس الحقيقة إلى الناس، وإيصال الثقافة العالمية إلى العالمين، فلم يعد العذر قائماً لنا في التهاون في هذا الواجب الحضاري الإسلامي.

والله وليّ التوفيق والسداد.

قائمة المراجع[1]:

١- أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، د. عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، طبع عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٢- أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (تـه)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨م.

٣- أصدق الاتجاهات الفكرية في الشرق العربي، د. مصطفى السباعي، دار الوراق، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٤- أضواء حول الثقافة الإسلامية، د. أحمد عبد الرحيم السايح، الدار المصرية اللبنانية - القاهرة، ط١، ١٤١٣ هـ-١٩٩٣م.

٥- أضواء على الثقافة الإسلامية، د. نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٩، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٦- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية. تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٧- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. ناصر عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد - الرياض.

٨- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

---

(١) مُرتبة باسم الكتاب ثم المؤلف، دون مراعاة لـ (ال، أب، ابن..).

٩- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس، ١٩٩٧م.
١٠- الثقافة الإسلامية: ثقافة المسلم وتحديات العصر، د. محمد أبو يحيى، ود. راشد شهوان، ود. عبد الرحمن الكيلاني، ود. أحمد العوايشة، ود. يوسف غيظان، دار المناهج -عمّان، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
١١- الثقافة العربية المعاصرة في معارك التغريب والشعوبية، أنور الجندي، مطبعة الرسالة - القاهرة.
١٢- ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق - القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
١٣- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية -القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
١٤- جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمُلي، الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١،، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠م.
١٥- الحضارة - دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، د. حسين مؤنس، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع١، ط١، ١٩٨٧م.
١٦- سنن الترمذي، واسمه الجامع الصحيح، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٧- سنن الدارمي، أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني - الرياض، ط١، ١٤١٢ هـ-٢٠٠٠م.

١٨- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٩- الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي، أنور الجندي، دار الاعتصام - القاهرة.

٢٠- الصحوة الإسلامية منطلق الأصالة وإعادة بناء الأمة على طريق الله، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة.

٢١- صحيح البخاري، وهو الجامع الصحيح المختصر، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجُعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٢- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٣- ظلال الجنة في تخريج أحاديث السنة لابن أبي عاصم، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢٤- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العِرقِسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥م.

٢٥- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.
٢٦- لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٢٧- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟، أبو الحسن علي الحسني الندوي، مكتبة الإيمان - المنصورة، القاهرة.
٢٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٢٩- مَدخل إلى تحصين الأمة، د. أحمد محمد الخراط، سلسلة دعوة الحق، العدد ٥٥.
٣٠- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم (ت٤٠٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.
٣١- مسند الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة قرطبة -القاهرة.
٣٢- مُصنف ابن أبي شيبة، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت٢٣٥هـ)، تحقيق: محمد عوامة، دار القِبلة- جدة.
٣٣- مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، دار الفكر -بيروت، دار الفكر -دمشق، ترجمة د. عبد الصبور شاهين، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٣٤- معالم الثقافة الإسلامية، د. عبد الكريم عثمان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١٦، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٣٥- معالم الشخصية الإسلامية، د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس - الأردن.

٣٦- المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحِكم - المُوصل، ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

٣٧- المعجم الوسيط، إخراج إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، دار الدعوة القاهرة.

٣٨- مقدمات حضارة الإسلام، د. مصطفى السباعي، دار الوراق - بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٣٩- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٠- من روائع حضارتنا، د. مصطفى السباعي، دار الوراق - بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٤١- الموافقات، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت٧٩٠هـ)، حققه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان - القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٤٢- الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، د. خليل نوري مسيهر العاني، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، رقم ٥٨، ديوان الوقف السنِّي - بغداد، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.